

لا رئاسة مدى الحياة

ومساحتهم المترعة في مجال الثقة والتوكيل لهم في الإنابة على الحل أو أداء العبادة بالأجر وتفويضهم من قبل شرائح المؤمنين لتدبير وممارسة الحل للفرص العبادي بناء على علميتهم و تقواهم كل ذلك يدخلهم في دائرة الشكوك على درجات متفاوتة وتجعلهم هدفا سهل في مرمى المرجفين والحاquدين على سلوكهم و دورهم في المجتمع. لا تخلوا سهام التهم الموجهة لأفراد السلك الديني إن جاز التعريف من النصال المسمومة سواء بالحسد أو الكره من قبل الفاشلين لدورهم الريادي الناجح أو لتدخل المبغضين للمذهب أو الدين أو أعداء الطائفة , تكون تلك البغضاء من الداخل البيني من عمق الطائفة من طرف المثقفين التواقين لمساواة المقامات الاجتماعية وتبسيط الفوارق بين الشرائح العاملة وسحب بساط القدسية بعد ما تمكنت بعض الشخصيات الدينية من احتلاله والتربع عليه بلا مقابل أو مساهمة تذكر في حل العناء والمشكل الاجتماعي كما هو المؤمل لهم بل قد يكونون هم العناء الاجتماعي بعينة حين يوظفون معايير الأختلاف ويزرعون بذور الفرقة في تربة الطائفة على أساس اختيار مراجع التقليد أو الأنزواء على الفكرة الخاصة وجعلها محجة وقياس العلقه ومدار الدخول أو الطرد في الفرقة الناجية حسب الصناعة الفئوية لتمركز شخوص القيادة في دائرة الأهتمام. أن الفرقة المثقفة من غير رجال الدين تضع أصبعها على نقطة مهمة في كتاب التجاذبات وتشير إلى ثغرة في تيارات متقاطعة في العلاقة البينية في الطائفة ومهما كانت دوافع النقد تلك ومهما تعددت منطقاتهم أو مقاصدهم فالموضوع قائم للطرح بشكل ملح وهام .حين تتجمع الإمكانيات وتسلم عدة مفاتيح في يد رجل الدين فمن المفروض أن يحسن استخدامها لحلحلة كأداء الأمور في الشارع المعاش وتحمل جهته زحزة صعب القضايا لتملكه لكثير من المعطيات وتسمنه لمراكز القدرات والقوى , فمركزيته في وسط الدائرة الاجتماعية تمكنه في تنضيد أحجار طريق الحل ورسم أسهم ألتجاه إلى مرافئ السلم والنجاح ألتجتماعي ولقد شهدنا من قام بذلك الدور خير قيام من رجال الدين وزرعوا الأشجار العملاقة من الخير والتي تؤتي ثمارها إلى أيامنا هذه وعملهم حجة على غيرهم حيث أن من يعمل حجة على من لا يعمل , فمن رجال الدين من حرر الأوطان من الطغاة ومنهم عقم طهر الأذهان من الغلو والخرافات ومنهم من سبر التاريخ ليجلب كلمة الحق ناصعة بلا شائبة. لو عددنا مآثر العلماء قد نحتاج إلى ملايين السطور في ذلك ولكن وفي المقابل هناك تناقلة السلك من رخويات الحوزة المحتلين لدكادك العلم ليقطعوا عليها خبزهم و يغلقون وكاء قوارير خلهم وسله قنائهم ,وهناك أشر منهم من يحيكون الفتن ويشعلون أعواد من قبس الفرقة الخبيثة بعبتهم ولعبهم لمجرد الإحساس بأهميتهم في النسيج ألتجتماعي ' وهناك طلاب التروؤس المتشيطنون الذين يلاعبون كل حبال المكر ويتعاملون مع ما يستطيعون من فخاخ الشذوذ الفكري والعملي وينصبون إنشودة الإغواء باسم الدين والدين براء مما

يقولون ويفعلون ، وهمهم الكتل المالية كوسيلة من فوقها يطهمون أمور هم ويعتلونها في السيطرة على الحياة ما دونهم بالدعة والأتباع أو بالضغط والاحتياج أو المحاربة والمكايدة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَعْدَاءِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الَّذِينَ آسَرُوا بِالْغِبَابِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (1) وكما أن المال قوة اختباريه جبارة ومقياس دقيق لكشف النوايا وإبرازها إلى الظاهر بعد الخفاء ، و به يصار إلى السيطرة والتحكم ، كذلك التروؤس فهو أشد فتكا من المال و قد يستنفذ فيه المال ولأجله تحط وتداس كثير من القيم وتحطم الثوابت وتخترم المقاييس وتخرق القوانين. المترئسون من أجل الرياسة ولذاتها لا يتعففون من تقحم صعاب الأمور ولذلك لعنت هذه الشهوة إذا كانت هي محور التحرك ولم تكن لغاية خدمة الدين وإطاعة أمر رب العالمين كما ورد عن الأمام: **عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ عَنْ أَبِي بَرِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَام) يَقُولُ مَنْ أَرَادَ الرَّئَاسَةَ هَلَكَ**

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَام) مَلَأَعُونَ مَنْ تَرَأَسَ مَلَأَعُونَ مَنْ هَمَّ بِهَا مَلَأَعُونَ مَنْ حَدَّثَ بِهَا زَفْسَهُ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَام) يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَهَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ يَتَرَأَسُونَ فَوَإِ مَا خَفَقَتِ الذَّرَّعَاتُ خَلْفَ رَجُلٍ إِلَّا هَلَكَ وَأَهْلَكَ (2) كيف لا وهناك من له القدرة للمثول في صفات فئات المتعاضدين مع مفردات الوصول وانتهاز والتقاط الفرص الساقطة ليكتمل دور المصفين مع المدعين في كورال إغوائي جامع وليعبدون الناس من دون إياهم لمصلحة أو منفعة عاجلة :

عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول إياهم عزوجل اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ

فقال: وإياهم ما صاموا لهم ولا صلوا لهم ولكن أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم حين تختل الثقة بعد انعكاسات سلبية عملية بين رجال الدين وأطراف المجتمع الأخرى تكون تلك الحالة موجة من الانفلات القيمي إذ يتصور البسطاء بان الخلل يتعدى الفشل الأدمي إلى مرتبة تحطم القدوة وتهتك القيم وتفتت القيم لكسلها عن النهوض بالمثالية المفترضة بل قد يتكون عند البسطاء الشعور بالإحباط وبخيانة الثقة التي طالما أعطوها لأناس بحسب أنهم رمز للصلاح فإذا هم صورة مغايرة تماما بل أسوأ من غيرهم في تحدي تعاليم الدين : روي عن الأمام الصادق عليه السلام (قصم ظهري اثنان جاهل متنسك وعالم متهتك) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (خير دينكم الورع) (3) وحقيقة أن الورع من

رجال الدين هي الصفة المناقبية التي يتكل الناس في إساءة الاحترام وتقدير رجل العلم وهي سبب تسليم الناس لأمره بين يديه وبطنهم بإملاكه لخاصية الورع , لما لتلك القدرة من تحييد النفس عن الإستأثار بل والإيثار على الذات فيطمأنون بعدم جوره أو طمعه بما في أيديهم فيأتمنونه على ما عز عليهم وأثمن ما عندهم ويملكون من مقدراتهم , وبالحقيقة فالورع خلق عظيم يستحق أن تقف عنده كل شكوك الشخ وتسويلات الظنون فهو ثواب الإسلام كله على ما في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله (من لقي الله سبحانه ورعاً, أعطته الله ثواب الإسلام كله) (4) روي عن الباقر عليه السلام أنه قال (إن أشد العبادة الورع) (5) وقال عليه السلام: (ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه, فاتقوا الله واعملوا لما عند الله, ليس بين الله وأحد قرابة, أحب العباد إلى الله تعالى وأكرمهم عليه أبقاهم وأعملهم بطاعته). السؤال الملح هنا, أوجب السكوت وعدم التعرض لتلك الشخصيات لتفادي توهين المذهب كما يقال؟ هل نقف ضد مهاجميهم ومسقطيهم لتحديد ومد اتجاه تيار النيل من الطائفة؟ والجواب أنهم لا يمثلون الطائفة بل هم شريحة معينة فيها وكشفهم قد يكون أفضل وسيلة لوقف تمادي غيرهم في الانخراط معهم بل لحجب التداعي القسري في استحثاث سلوك جمعي غير مبرر. إن ملحمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين تتشكل بدور الكشف عن الخلل في جسم الأمة ضماناً من صميم العمل المجتمعي وأسلوب متطور لإسناد حاجز على الجرف بين سفح التردي وصراط المعالي فكيف يتحول العزوف عن ممارسة ذلك الدور في التوعية عن طريق الكشف والتوضيح إلى محمودة سلوكية؟ إنما السكوت عن ممارسة الإصلاح بطريقة الترتيبية واتخاذ نهج التدرج في الأسلوب وتوظيف المراحل الذكية في جذب الشارد من النسيج إلى لحمته وترميم الوحدة بشرط الإصلاح والحق السكوت عن ذلك هو تفويت فرص قيمة قد لا تعود في قادم الأيام. كلنا يعلم إن أول الفتن تكون من فكرة ناشزة قد تعالج بمجهود ضئيل وغير مضمي, وحين لا يأبه بها قد تتضخم وتتراكم وهي تنحدر إلى مهاوي غائرة وتستعصي الإصلاح بعد ذلك, عندما تصطاد الشهوة في شباكها ذمة تتدرب بالعلم والجاه وتلتف عسلان المنافع من حولها لتنصب لها عرشاً من عصي المصالح وحبال المكر وترفع حولها أعلام ورايات التأليه باسم التقديس ويعنوان خدمة الملة والدين حين ذلك سيكون التخلص من هذه التراكمات من أطنان الثقة العمياء محض قول وعمل بائس, الوقت والحجم هما عاملان فاعلان في مثل هذه الأمور فمن ضيع الفرص مرت عليه كمرو السحاب ومن أجل عمل يومه ثقل عليه ذلك العمل في غده, لا وقت للتأجيل إن كان وفي هذا يحضرنى قول من كتاب فقه الزهراء عليه السلام: (مسألة : تجب المبادرة للتصدي للفتن بمجرد أن ينجم قرنهما كما كان صلى الله عليه وآله وسلم يمنع , تأسيساً به صلى الله عليه وآله وسلم و لأنه من أحكام الأمر وإتقانه وقد ورد في الحديث (رحم الله امرأ عمل عملاً فأتقنه) ولما فيه من درء المفساد الكثيرة التي تترتب على التأخير.

ومن البين إن ذلك يتوقف - فيما يتوقف - على بعد النظر و الرؤية المستقبلية كي يتنبأ الإنسان مسبقاً بما سيجري و يعرف أن هذه مقدمة بعيدة لذلك و ما يجري هو لبنة في بناء مستقبلي كذائي و قد

ورد في وصف أمير المؤمنين علي عليه الصلاة و السلام (كان و ا □ بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا و يحكم عدلا ...) قال أمير المؤمنين عليه السلام (رحم ا □ امرئ رأى حقا فأعان عليه ورأى جورا فرده وكان عوناً بالحق على صاحبه)

و قال عليه السلام (رحم ا □ امرئ أحي حقا و أمات باطلا و ادحض الجور و أقام العدل) (6) وفتنة تتشكل بمقومات وعناصر دينية لها أشد من تلك الفتنة التي لا تملك تلك العناصر لمكانة الدين في النفوس وسرعة التصديق لدى العامة لرجال الدين وتعمق تلك القدرة بكون رجل الدين يشتهر بالعلم والمعرفة ويرى بظاهر العفة وزي الزهد والتقوى , فيكون ما يصدر منته أشد خطرا لموقعه القريب من قلوب الوثائقين به بناء على موقعة من الصلاح والسداد المفترض , فهل تقف عنه التهمة حين ينكشف فيه ما يناهز ذلك؟ في الواقع هناك الكثير ممن يعرف الحق بالرجال ولا يعرف الرجال بالحق وهناك من يصطاد في لجج الظلام وهناك من لا يعرف الناقة من البعير ولذلك يجب تبيان الحقيقة ولو كانت مرة بشرط الترتيب التصاعدي ومعرفة الفائدة للدين وللملة في تلك الخطوات وعدم تفويت المصلح الثابت للمذهب , فلا يمنع من قول الحق مركز أو كيان فيؤثر به على الحق وعلى الصدق ' بل ليس من الحكمة أن تنحرف القدرات حين تستقوي بسذاجة المجتمع وجعل باب المحاسبة مغلق أو إدخال ميزة العصمة وترجيحها في غير المعصوم لئلا من تسول له نفسه بزج المجتمع في خطواته الشهوانية أو عبادة أنانيته المنمقة بالعلم من دون ا □ , ويبقى نقد الناقد مقبول بشرط الشفافية وخلوه من ألانا المزاحمة فمن القبيح أن نقلع أنانية متسلطة لنزرع أنانية متسلطة أخرى ونلبسها جلباب التقديس بعد ما نزعناه بشق الأنفس وبخسارة ملحوظة وألام مضمية. .